محمد فؤاد



شعر

إهـــــــداء ٢٠٠٧

مديرية المطبوعات والنشر – وزارة الثقافة

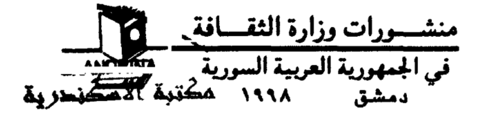
الجمهورية العربية السورية

الإشراف الفني زهير الحمو

محمد فؤاد

المتروك جانبًا

شعر



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٨

المتروك جانباً : شعر / محمد فؤاد . - دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٨ . - ١١٢ص؛ ٢٠سم (من الشعر العربي؛ ٦٣).

١- ٨١١ر٩ ف و ا م ٢- العنوان ٣- فؤاد
٤- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٢٠١٩ / ١٢ / ١٩٩٨

من الشعر العربي
« ٦٣ »

لا أفقدك

كتبت هذه القصائد منذ العام ١٩٩٠

ما يشبه مقدمة

إنه العشاءُ الأخير.

والوقتُ الذي مرّ اسّاقطَ كعشبٍ يابسٍ

كنا بددنا أيامنا

كنا نلاحقُ ما لا يُرى ولا يُعرف ولا ملامحَ له ، وكنا بالطبع

لا نصل .

كثيراً ما تساءلتُ عن جدوى شيء ما، وكثيراً ما أضعتُ الجواب،
أو مللت من البحث عنه ، أو بالحقيقة لم أفتش جيداً

أو ....أبداً .

و ها أنا الآن "حتف أنفي"

بلا طائل أو أعمدة أسند عليها أيامي أو حجرٍ احك به روحي

..

وهكذا ! .

أحـــوال

نرسيس

كلّ ليلةٍ
اقودُ الحشودَ التـي أطلقْتُها في الصباح
إلى حظيرةِ روحي
ثم أغلقُ المزلاجَ الخشبْ
وأبقى في العتمة
كي لا تفزع الحشرات النائمة من الدويّ .
وفي العتمة نفسها أرسلُ زفرة عميقة
تلك التـي تسمح لي
أن أحصي الخسارات التـي أربحها كلّ يوم
اكوّمها امامي

ملتذاً برائحة العفونة

التـي تشيعُ كالسرّ. .

. .

. .

تستحقُ القتلَ هذه الأبقار الوحشية

. .

حقيقتـي لم أعلنْها لأحد

فقط

تركتُ النباتات الآسنة

تطفو على السطح

قبل أن تكشطها

أظافرُ الله العملاقة

لأبدو ،

ولو مرةً واحدةً،

جميلاً في المرآة.

قرصان

خشبةٌ تطفو على الماء

لا أكثر من هذا

ولا أقل .

شيءٌ ما يذكر ربما بالمشهد الأول

لفيلم عن كنز مفقود

لكنما لا أحدَ في الجوار

لا نأمةَ

سوى الأزرقِ الداكنِ

وبميل للسواد .

خشبةٌ

ربما

الساقُ المستعارة

لقرصان من الحكايات

ربما عصا " الشيخ "

سقطتْ وهو يضرب القرش

ربما عزلةٌ متـيبّسةٌ

أنا ألّفتُها ، هكذا

خشبة كي تطفو على الماء

هكذا

وحدها

لا أحدَ في جوارها

لا نأمةَ

سوى أزرقٍ داكن

ويميل للسواد .

غراب

على طرف الخيط الواهي بيننا
تركتُ حياتـي معلقةً ،
وها أنذا ، من ظلمة إلى أخرى ،
أقفز كغراب
كأنما أمامكِ فقط
كان عليّ أن أدعي الحكمة
بينما حماقاتـي
شرائطُ ملونةٌ
ألوحُ بها من شباك البوسطة
التـي تخضُّ على الطريق .

انتحار

بدا
وكأنما ملاكٌ يهبط .
الباب مواربٌ على عتمة
وليس من نباتٍ
سوى الريشِ
يسقط من القفص الفارغ
فان كوخ
على الحائط
مائلٌ قليلاً
وباهتُ الألوان

وعلى الأريكة بقعةُ الحبر

رطبةٌ بعدُ . .

ثمةَ ورقة وآنية فارغة. .

. .

إنه حبلُ الغسيل

في المكان الخطأ

ما يمنح المعنى

لقدمين عاريتـين

تتدليان من السقف .

بالأسود فقط

لِـمَ عليّ الآن أنْ أنبش

في هيكلِ آثامي

ساحلاً روحي على مرآى من السابلة

روحيَ الساقطةَ

-حمالةَ الحطب-

روحيَ الخسرانةَ

وليس من معين

يا الله

ليس من كتف أبكي قليلاً عليه .

كلُ يقينٍ خيطٌ مقطوع
ومن الوهم
كنت أنسُلُ وهماً آخر
لقد تشابكت الخيطان
وصار عليّ أن أعبر الشتاء
بلا طاقيةٍ
وكنزةِ صوف.

ما أهدرتُهُ
لايستحق التذكر
ولكن
منْ يعبر الآن
هذه الساحةَ الخرِبة

مَن يهشُّ الكلابَ

عن دم بائتٍ ؟!

بالأسود

بالأسود فقط

لكنك لن تسألنـي بعد الآن

كيف انقطع حبلُ الأرجوحة

كيف سقطتُ على ركبتـيَّ ؟؟

الثور

" ماذا بعد أن يمرَّ الدهماءُ ؟
ماذا بعد أن يمر الهواءُ الأصفر، والنقع
و طرائد الملك
والملك الضلّيل ؟
ماذا بعد الطنينِ ، والمرحلة
ومصل اللوعة ؟
ماذا لو سقطتْ روحي على الحلبة
وانفضّ الجمهور ممتعضاً ؟ "
...
...

الثورُ في الساحة

يحك الرمل بالدم

وفي الهواء الداكن

يلمع النصلُ الأخير

...

...

" يا الهي

ما للمشهد لا ينتهي! "

مقهى القصر

الجَلَبَةُ ذاتها .

..

..

ليس من هواء

يعبر البابَ اللوّاح

ليس من زجاج

سوى ما تجترحه المرأة

بالتلفُتِ المخادع

..

..

وبين حوارين

يغادرنا الثالث إلى الموت

تعبان

ولا تحمله ركبتاه

سيأتـي أيضاً من يمسح عن أرواحنا الغبش

وبعضنا نتحسس

كي نتأكد منا.

ليس أكثر من هذا

قبل أن يدور النادلُ

دورته.

..

..

الجلبة ذاتها.

ندم

لأنني أجلس الآن
أعضُّ
على أصابعي .

لأنني
كل ما يمكن أنْ أفعلَه
اضربَ كفاً بكف
هازاً راسي بأسىً
متهاوياً على كرسي

متهاوياً ، أبداً

على كرسي

ناقراً براحة يدي

على الطاولة الخشب.

يدي

التـي بليت أصابعها

وأنا . .

من الندم.

الخصي

لو أننـي كنتُ

طويلاً. .طويلاً

ولو أن لـي على الأرض

وقعاً صاخباً

لو لم أدرْ خدي الأيسر

لو أني سمعتُ

نصيحة الأعمى

وحكمة الغراب

لو أننـي

-في الصباح الباكر-

أشدُّ انتباهاً

لو أن لـي ندمَ القديس

لو أن لـي جرأة اللص

وهيبة الملك

لو أنه ماءُ الذكورة

لو في الأصلاب

ما يشفـي الغلّة

لو الرائحةُ فقط

لو صمل الموتـى

لو قسوة من يعود من الحرب

لو أنه يحدث أن أفيق

وأرى

الأرضَ

خراباً.

كيفاركيس

"إلى عطا الله"

هو يوضح الكلام

وأنا

أعد على الزهرة أيامي الخائبة.

الرجل يشد قوس الأثوريين

المفتول كخيط

ساحبا عن الرف ما يتركه الآخرون

إلى غبار ونسيان.

صائد بهجة العائلة

تفتنه المرأة إلى جواره

والبنتُ التـي

في ٧ نيسان ١٩٨٨

أخرجتْ إصبعاً

بالغ الدقة

وعلى جدار منخور لمنزل بلا مارين

رسمتْ علامة X

فاغرة الشدقين.

تمثال أعمى يهوي عليه فأس

"إلى عرق الثرى

وشجت عروقي

وهذا الموت

يسلبني شبابي

وقد طوفت في الآفاق حتى

رضيت من الغنيمة

. .بالإياب"

امرؤ القيس

"والأسى

- قبل فرقة الروح -عجز

والأسى لا يكون

بعد الفراق"

المتنبي

١

هل كان يكفي

أن أزيح الستارة

كي تنسفح على الحائط

عتمةٌ

وعلى الحوضِ

حبرُ الغياب.

ليس من أسىً

- بعد أن تغلقَ البابَ -

الهواءُ الثقيل في الغرفة

النبتةُ بحمدة قرب الزجاج

قهقهةُ بالأسود والأبيض

لميتـينَ يطلون من الصور

ليس من أسىً

حياتُكَ المبددةُ كنكتة

حياتك لا تصلح

كلطخة خرقاء على جدار

سوى أن الغنيمةَ

كمشةٌ في الخلاء

ومن الحكمة أيضاً

أن لا نعيد اللعبة.

٢

من قصب نصنع أيامنا

وبالسهولة ذاتها

نبدّد الألم

مترددين

ومع ذلك يخطفنا الحبُّ

ريشٌ معلق في الهواء

أرواحُنا

وهي تهبطْ

كملاك بجناحين

على دفتر مدرسيّ.

٢

لم يكنْ لنا ما نبوح به ، في البداية

رسمنا شقاً في الجدار

ولم نمر منه

وكنا على وشك أن نبكي

وعلى رؤوسنا حطّ الطيرُ

في الخارج ثمة من يعدُّ علينا خِفّتنا

نحن أولـى

-نعرف-

بموتانا السريعينْ.

٤

من الغفلة نضحكُ

كي نخدعَ الخيبة

ولاشيء يسقط كي نقتصَّ منه

لاشيء لنا لنفقده

أو نبكي عليه

لا ملائكةً لتحمي نومنا

لا جسداً لنشهق من اللذة

أعمى يقود حياتنا

بخيط مقطوع

تمثالُ شمعٍ على الحافة

مقعدٌ من خشب

يهوي

عليه

فأس.

٥

أيةُ فضيحة سَحَلتنا، هكذا،
علناً
أيةُ ماشطةٍ نقّشتْنا
بحناء أسود
وذرّتْ ملحاً في العيون.
نسلٌ من العلق
على موائد فارغة
والبيعةُ خسرانة من أولها
سنكفُّ عن كوننا ثيراناً هائجة
في برار جيرية
والنصلُ في العنق
أعطانا ذريعةً للسقوط.

٦

سنعترفُ ، أحياناً،

بأننا لم نكن جديرين

ذلكم أدعى بملوك مهزومين

تركوا مفاتـيحَهم على افريز الباب

نتناوقُ من شقوق صنعناها

لنبكي ما أضعنا وما تلى ذلك

نحيكُ الحسرة تلو الحسرة

بخيط الندم

أفّاقونْ

على أحصنةٍ خشبية

ندندن لحناً غامضاً

ومن بين أيدينا

تسقط كبكوبة الصوف

وتكرّ بعيداً.

كاثوليك

لعلها الآن

تهشُ عن وجهِها

النزق الذي لا يفارقُ

لعلها،

في الترتـيلة الأخيرة

للجمعة الحزينة

تعدُّ بالأصابع الخمس

جراحَ المسيح باكيةً

وتحلفُ أن الارتودوكس

لا يعرفون الصلاة

لعلها لا تزال

تعدُّ عليَّ أخطائي

وترمينـي -كعادتها-

بقوسِ الشكِّ.

..

..

..

تنأى المرأةُ الآن

بزنارها المريميّ

تاركةً على القميص المقلم

رائحةَ المَيْرون

وهو ينزُّ من صليب الندم

ما تركتِهِ

معلقاً على مشجب الهواء

في الغرفة التـي غادْرتِ:

رائحة خفيفة

لأربعاء قديم

والغائمة،صورتَكِ

في المرآة المقابلة

وعلى المقعد الجلد

ثنية عميقة

لم تمحِ بعدُ.

ربما كنتِ التـي

من سطوة البارحة

ربما التـي

-كذباً- تناسيتُ

أبادلُ ملحاً بسنين

بإلفة مركونةٍ في الممر

بسنٍ ناتئ يعض أطراف القميص

بمنديل معلق على مشجب الهواء

تركتِـهِ ، ربما ، عمداً

يسقطُ

منذ سنين

مازال يسقطُ قرب المقعد الجلد

في غرفةٍ

برائحةٍ خفيفةٍ

لأربعاءٍ قديم.

خرزة زرقاء

حارسُ نومكِ

من يمسح عن أحلامك الغبش

ويهيئ الهواءَ لكِ

كي تدوسي على الغيم

وفي الصباح

وفي المساء

في الشتاء والصيف

في الوحشة

وفي الضحك

سيجر إليكِ

آلافَ الملائكة

لتحميك من العين

وتغطيك بآهة طويلة

آهة العاشق

وهو يسحب على قدميك

فضة الصباح الأول.

جريمة

الذي

في وسط الصورة

مشغولٌ بفتنتهِ

بالضحكةِ الأعلى قامةً

لكنما الخلفيةُ الشاحبة

والغموض الذي يلوح في الأرجاء

رتوشٌ ضرورية

كي

تصبحَ الجريمةُ

كاملةً .

عندما أحبك

عندما أحبكِ

زهرةٌ أولــى

نحلةٌ إثر نحلة

عندما أحبك

أرنبٌ يركض

زغبٌ على البطن

أصفرٌ

وذهب.

عندما أحبكِ

الكلامُ غبارٌ

فستقة مقشورة

على طرف الشفةِ

عندما أحبكِ

يعنـي ذلك أحداً

. .

سواكِ

عندما أحبكِ

لا يعنـي ذلك أحداً

. .

سواي

عندما أحبكِ

ولدٌ من حديقةٍ

وعابرون من مطر

عندما أحبكِ

كرةُ الثلج

من أعلى المنحدر

عندما أحبكِ

أزرقٌ بلون الفضة

ورديٌ من التوهج

عندما أحبكِ

أسحبُ الصنارةَ خاويةً

بينما

الزهرة المجففةُ في كتابك

تنفرطُ من الألم.

خماسية

١

لم اجدكِ

في الكلام

في الألمِ

ابحث عنكِ .

٢

لا يمكن أن تكوني

هنا

الكمنجاتُ صامتة

٣

سُرَتُكِ نـجمةٌ

فمُ الذئبِ

شيءٌ آخر

مـختلفٌ تماماً

٤

أنتِ نائمةٌ

من إذاً

هزَّ النخلةَ ؟

٥

انظري إلـيّ

..

هكذا يَنْقشرُ الطلاء.

خريف

أنا الشجرةُ العجوز
لقد مرّ
"سرب طيوركِ البيضاء"
ولم تلتفتْ، أبداً
لروحي المصفرّة

أوتوبيوغرافي

منذ ٣٢ عاماً

سقطتْ ثمرةُ حياتـي

خضراءُ

ومبلولة

ولو صحَّ ما قالتِ العرافةُ

فإن ما بقي لا يكفي

كي أسردَ السيرة المتعثرة

لملكٍ مـخلوع

في المزيع الأخير

وعلى كتفيه

النشيدُ الصامت

لأباطرةٍ مفلسين

جَرْدةُ حساباتي تفضحني

ولو قيضَّ لي

أن أكتبَ ما جرى

فإن صفحتين اثنتين

من دفتر مدرسي

تكفي- -و تزيد !

ليس لي حصان

لاكون دون كيشوت

وسانشو تركني في أول الطريق

لاوياً عنق حماره عني

كأنما يعرفُ النهاية.

أفوزُ من الزجاجة

بنصفها الفارغ

ودائماً أصل

حين الصفرة الأخيرة

تغادر المحطة

لقد مر وقت غير قليل

قبل أن أقتنع

أن الحياة

خيار وفقوس !

منذ الصيحةِ الأولى

وحتى الصورة الفارغة على الجدار

لعائلةٍ ضاع أبناؤها

حبلٌ طويل من الخسارات

٥٤,٥ كغ

وكتفان مائلتان من الفجيعة

هزائمُ

ومقاعد فارغة

في محطات مهجورة

لقطة ثابتة لخريف أبدي

دويّ

هائلٌ

يتردد في الرأس

..

..

حيلتـي الوحيدة لعبور النفق

تمتمةٌ مبهمةٌ قبل النوم

عن أحلام

سيمحوها النهارْ .

الذي حاولتُه. .

كثير

والذي أوصلنـي إلى الحافة

وبكى معي قبل سقوطي. .

والذي أعطانـي المفاتـيحَ

والذي، من خيبتـي،

ضيّعتها

والذي صاحبنـي

وأيقن أنـي. .

والذي في الشك رماني

...

...

...

رغبتـي المشلولةُ.

رجائي العَمْيان

...

...

الأبوابُ، مغلقةٌ، مغلقة

وفي العراء البارد

ثمة

من يصنع ضحكاً

أفقتُ على معرفة متأخرة

بينما في البئر المجاور

ثمة

من يرمي حجراً

ولا يسمعُ صوتاً

سأعيدُ ترتيب الكلام

لأفقد المعنى

لقد تهرأتِ الخيطانُ

على قميصِ العمر

وأنا الآن

أنتظرُ الصمتَ الثقيل

الذي يلي

اصطفاقَ آخر الأبوابْ .



نبات الموتى

ما الذي أفعلُهُ في هذه الغرفة الضيقة ؟

أي عماءٍ أتلمسُ

أو أرى ؟

ما الذي هبطَ بي، فجأة

هاهنا

وعلقنـي على الجدار؟

أية لزوجةٍ تلك

أيّ هواء مسموم

يجيء من شرفة واهمة؟

أية رائحةٍ غامضة لنبات وحشي

تسمع؟

أي موتى

من سهرة البارحة يعبرون؟

..

..

ما الذي أفعله في هذه الغرفة الضيقة؟

ما الذي أفعله في هذا الموت؟

مائدة طويلة من الضحك

"إلى عماد.ع"

عجوزٌ في الثلاثين

رمى شاله عند بحرٍ أبيض

وعميق

وعاشَ في السويد

من رآه وهو يخلط الحكمة

بكثير من الهذر

وهو

يترك

الفناجين

تسقط

كي يسمعُ الرنين!

مخطوف

وأطول من حرْفِ الخزانة

ولذلك

كان من السذاجة

أن يدعي أنه يمنيّ

ومن المضحكِ

أنهم صدقوه!

لقد أفلتَ من الخيط

وتاه كالغريب

ويوماً بعد يوم

وعاماً بعد عام

بامرأةٍ

ووليدٍ

وسريان كثيرين

وعراقيين سكارى

سيصنعُ مائدةً طويلة من الضحك

الضحك

الذي هو يؤلم

الذي هو أنّةُ الوتر السادس للعود

الذي هو غصةٌ

تسكنُ على طرف المتوسط

..

..

لكنه في الثلاثين

عجوزٌ

وبعيد

وأنا الآن أشمُّ حنيناً يفوح

من مناديلَ

منسيةٍ في الجيوب!

أبي على مائدة السبت

كأننا نتبادلُ الأنخاب.

• •

مَن قال كأسكَ؟

• •

من خيبتـي؟

• •

من مدّ القهوةَ

كي تنتهي الحفلةُ ؟

أبي على مائدة السبت

في السُكْرِ الخفيف

في الصمت الذي يلي وقع الكؤوس

في ماء روحكَ

وهي تقودني نحو المدرسة الأولى

في طريقي إليك

وأنا أدقُّ الأجراس

حاملاً على الكتفين

صليبكَ

ثلاثين الفضة. .

...

...

لقد أفشيتَ لي الأسرار

واعطيتنـي مفتاح الغرفة الغامضة

أنتَ علمتنـي ما نسيتْ

وقطفتَ التفاحة

كي لاأهبطَ من الجنة

انت قلت لي: نَمْ

وسهرتَ على حلمي

..

..

انتَ أبي

انقذني من ذئبِ البئر

أعدْ لي قميصي الملطخ.



حلب ١

حيث الرسائلُ محبوسةٌ في صناديق البريد

والعابرُ،

من مقهىً لآخر،

يشربُ القهوةَ مالحةً.

الضجرُ ينهضُ

حجراً فوق حجر

والسيرة القديمة

لم تعدْ تنفعُ

في تزجية الوقت.

سلاماً أيتها الحشرة

التي تصعد الطاولة

النادل

سيطيحكِ

بضربةٍ واحدة

من خِرقتهِ المتسخة.!

حلب ٢

بَدَتْ الحياةُ من علو شاهق

لكن أحداً

لم يشأ أن يصدّقَ !

حلب ٣

ربما لو أن الكاميرا اقتربتْ أكثر

فأكثر

فأكثر

فأكثر...

لو ابتسامةً على الوجوه

عريضةً رُسِمتْ

ولابأس من أحدٍ يضحكُ .

الكمانُ من بعيد

يثير الشجنَ

ومن العمق

ينفرُ سربُ الحَمام

. .

. .

اليوم خمر

بالأمس خمر

. .

. .

وأنتِ السبيلُ

. .

ما الذي ينقصُ المشهد الآن؟

لو أن الكاميرا اقتربتْ أكثر

فاكثر

فاكثر

فاكثر

حلب أيضاً

بين الساعة التـي تدقُّ الفجر
والساعة التـي تدق الفجر
قماشةُ الخياط الأسود
وهو يروح ويجيء
يروح ويجيء
ثم يغرز الإبرة عميقاً
في الجلد الصلب

. .

. .

ليس ثمةَ
من يحركُ الماء
الذي هو آسن.

بورخيس

من المتاهةِ

ينفذُ الأعمى

. .

خطاه دليل

أبي

لم تَمتْ
الأزهارُ فقط
كانتْ تجفّ على الشرفة

لا يهم

لا يعنـي أن كل ما فعلتُهُ
كان خطأً
على أكثر من وجه
قرأنا المسألة
وتبادلنا الأثرَ
أحمرُ الشفاه على طرف الياقة
والأزرقُ المخضر على استدارة الكتف
بطرف قدمي قلبتُ الطاولةَ
وتركتُ الشمعةَ تنقط على السجادة

وبوجهي

رميتِ كلَّ القصائد التـي أحببتْ

..

كنا نقصدُ أن نتألم

فقط

كي نمنحَ المعنى

للحياة التـي

نعرفُ سوياً

أننا خسرناها

ريح بستة مقاطع

١

كلُّ ما هو لي

تركتُهُ على النافذة

بالطريقة ذاتها

هكذا

بالطريقة ذاتها

التـي تندلقُ فيها القهوةُ

من يدِ رجلٍ يموت

٢

هم تركوا لي حصتهم

من الضلالة

فتبعتُهم.

الشعراء،

ما عادوا يصلحون

لملء الزجاجةِ الفارغة

إلى نصفها

٣

ليس عجيباً إذاً

أن تكنسَ الريح

كثعلبٍ

ما جمعتُهُ كدجاجةْ

٤

الريحُ لا تملك

أنا من يخسر

٥

الريحُ التـي ترفع التنانير

وتصفُر في شقوق الألمنيوم

الريح التـي تطقطق أمام الباب

ترجُّ الباب

الريح التـي ستنتزع الباب

من مساميرِ الخشب

٦

الميْتُ

من نسيتْهُ الريح في أول القرن

التائه،

من قلّبته بين كفيها

كخردةٍ قديمة

٧

كان لا بد من الشجر

كي تمرَّ الريح

الطلعُ تهيجه الذكرى

٨

الشجرُ أيضاً يذكرَ

الخزائنُ في الليل، تئن

لو ورقةٌ خضراء تنبتُ

لو واحدةٌ فقط

٩

لم تكن واثقةً كفايةً

اللافتاتُ

طارتْ

مع أول هبّة ريح.

حياتي تجف على المصطبة



أنامُ على أكثر من جنب

مثلما يبدو واضحاً

لا همّ لي

سوى ما أحشوه في الخزانة

كالجوارب المتسخة.

تلك السنةُ مضتْ تهتز

كسيارةٍ عتـيقة

الجمـيعُ اتفقوا على ذلك

وحدي قلتُ لهم تهتز

كبطن الراقصة

ولم نعرف كيف انتهى الشجار

إلا والسنةُ التـي جاءتْ

مَضَتْ تهتز. .

. .

أرى من بعيد

مَلِكاً يسقطُ عرشَهُ

وأرى العرش يعيد المَلِكَ

وأرانا مجتمعين

نتداولُ كيف تقوم الساعة

وكيف النخلة تهتز

فأقول كبطن الراقصة

لكن الساعة قامتْ

وكنا نسيُر في طابور كرتل النمل

وكان الطريق أمامي مسدوداً

وصاح صائحٌ : من هنا

ولم أصغ إليه

فوقعتُ في الشرك.

النهاية التـي أشرفتْ
ما حان وقتها
وهكذا عدتُ إلى البداية.

ها أنا على المرآةِ
أصلحُ وجه الآخرين
الذين قالوا: امضِ معنا
فدخلتُ في المرآة
ولم نمض أكثر من مترين
فإذا نحن ببستان
نرقص عراةً من الهمّ
وبالسرور الذي يدخل القلب كطائر الجنة
كنا نُقبّلُ أجسادنا بنهمٍ
ونأكل التفاح

ولم نَزَلْ هكذا سنيناً وسنيناً

حتى خرجتُ من المرآة

القمر على يميني

وعلى شمالي المرأةُ الاولى

التي خرجتْ من ضلعي

فصرختُ من الألم

لكنها لَمَسَتْ صدري

بروؤس أصابعها

فانغلق الباب

ولم التفتْ إلا وطارتْ حولي حمامةٌ

ومرتْ الريح

وكنتُ اقفُ على النافذة

أبكي من الوحدة

و أشكو لجارتي ألمي

فتبكي معي من وحدتها

ولم تكنْ معي المرآة لأرى فلمستُ ظلي
وارتجفتُ من اللذة
فحمدتُ الله
وقمتُ عن المائدة.

لكل ما سبق
شَرعتُ أدوزن حياتـي على نغمةٍ نشاز
فانفضَّ الجمهورُ ممتعضاً
أحدهم سَبّقَ ورماني بالنسيان
وأنا بادلتُهم بالضحك
هاهي الحقيقة تبدو أمامي واضحةً كالفضيحة
وكانني أنظرُ من الحلم
فرايتُ فيما رأيت
الناس يمرون أمامي
عائدين من الموت

وأنا ألوّحُ لهم من شرفة القلعة

ثم أصبُّ الزيتَ عليهم

فيدّهنون

ويهللون

ثم يموتون من جديد

وهاهن النساء يرتمينَ عليّ

كالسمك المجلد

فأدخلهنَ منتصراً

وأبكي من الفرحة

ثم رأيتُ فيما رأيت

الطائرة تهبط

وأنا أنسلُ من النيل

بينما في الطرف الآخر يبدو المشهد مختلفاً.

أيها الرب

أعطني ما يكفي

كي أعبر هذه المتاهة

لقد رميتُ حياتـي على المصطبة

حتى تجفّ

وما من أحد أعار هذه الأوراق الذاوية اهتماماً.

الموظفُ الصغير العائد من الحكومة

سكبَ بضع قطراتٍ مِن الكحول عليها

ثم أشعل النار. ■

■ ■

■ ■

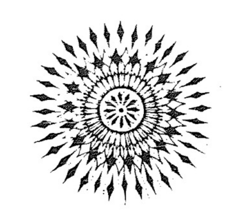
الآن إذا نظرتَ جيداً

لن تجدَ سوى أثرٍ خفيفٍ داكن

لا يلبثُ أن يختفي.

الفهرس

١٥٠٠ ط١ / ١٢ / ١٩٩٨



طُبِعَ في مَطَابِع وزَارَة الثَقافَة

دِمَشق ١٩٩٨

سِعر النسخة داخِل القُطر

٧٥ ل.س

في الأقطار العربية ما يُعادِل

١٥٠ ل.س